أثر المهاجرين في الحياة الاقتصادية في العهد النبوي

الدكتور عبدالعزيز ابن عبدالله السالم*

* بكالوريوس في التاريخ من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة عام ١٣٩٤هـ .
- ماجستير في التاريخ الإسلامي من جامعة المنيا بمصر عام ١٣٩٩هـ.
- دكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة عين شمس عام ١٤٠٨هـ.
- يعمل الآن أستاذاً مساعداً في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

يهدف هذا البحث إلى دراسة أحوال المهاجرين ومعيشتهم وعلاقتهم بمجتمع المدينة مع إبراز أهم الأعمال التي قاموا بها في عهد النبوة، حيث تناولت فيه الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي كانت عليها المدينة عند بداية قدوم المهاجرين إليها، موضحاً فيه أحوال المهاجرين في المدينة وعملهم في التجارة التي شجعهم الرسول ﷺ على العمل بها؛ لتنمية موارد المسلمين الاقتصادية، وذلك بحكم خبرتهم السابقة في مكة ومهارتهم في شئونها، فعمل بها بعض المهاجرين الذين استطاعوا التوفيق بينها وبين الجهاد ونشر الدعوة .

وهو الهدف الأساس الذي هاجروا من أجله .. ويبدو أن المهاجرين قد تمكنوا بعد مدة قصيرة من إقامتهم بالمدينة من الهيمنة على أسواقها التجارية .. والسبب يعود إلى خبرتهم السابقة كما ذكرنا، وتطرقت إلى موضوع الصناعات والحرف في المدينة التي تعتمد أساساً على مواردها الأولية من المنتجات الزراعية وغيرها مثل تجفيف التمور واستخدام سعف النخيل

وكذلك الصناعات التي تعتمد على المنتجات الحيوانية كدباغة الجلود وإعداد الصوف وتنظيفه وصناعة النسيج ، حيث عمل بعض أهل المدينة إلى جانب ذلك بعض الأعمال الأخرى مثل التعدين والنقش وأيضاً مهنة الرعي وهي من الأعمال التي يمارسها أهل المدينة، ويبدو أن المهاجرين قد انقسموا إلى طبقتين: طبقة استطاعت الجمع بين العمل في التجارة للاكتساب منها وبين الجهاد في سبيل الله والتفقه في أمور الدين ومساعدة الرسول ﷺ في رعاية شئون المسلمين.

أما الطبقة الأخرى ، فإن أفرادها لم يستطيعوا الجمع بين كل ذلك ، فنلاحظ أنهم تركوا العمل والتكسب واكتفوا بالجهاد وملازمة النبي ﷺ للتفقه في الدين وتنفيذ ما يكلفهم به من أعمال وأن هؤلاء ينفقون على أنفسهم مما يحصلون عليه من غنائم في جهادهم وخروجهم للغزو ، إضافة إلى ما يأتيهم من المساعدات التي كان يقدمها لهم أغنياء المهاجرين.

- الحالة الاقتصادية بالمدينة :

لم تكن المدينة في حالة اقتصادية جيدة عند قدوم المسلمين إليها مهاجرين من مكة ؛ لأن الحروب الطاحنة التي دارت بين الأوس والخزرج كادت تقضي على اقتصادها تماماً، كما لم يكن المحصول الزراعي كافياً إلاّ بالقدر الضروري، بل كثيراً ما كان أهل المدينة يستوردون من الشام الحبوب والدقيق[1] ليتزودوا به وليكملوا النقص في محاصيلهم الزراعية .

ولما قدم المهاجرون إلى المدينة ، ونزلوا على إخوانهم الأنصار ازدادت الحالة الاقتصادية سوءاً، فقد أصبح الطعام الذي يكفي الواحد لابد أن يتسع لاثنين أو أكثر، وأخذ الأنصار يقدمون إخوانهم الوافدين على أنفسهم ويؤثرونهم بما عندهم،

(١) البخاري . **الصحيح** : (٣٢٥١٤) .

ولو أدى ذلك إلى حرمانهم . وإننا لنلمح تصويراً دقيقاً للوضع الاقتصادي في المدينة من خلال الآية الكريمة ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾(١).

والإيثار هو تقديم الآخر على النفس، وذلك لا يكون إلاّ عند قلة الشيء، إذ لو كان كثيراً لم يكن هناك إيثار بالمعنى المتقدم، فالآية إذن تعبير صريح عن الضيق الاقتصادي الذي كان يعاني منه أهل المدينة .

بدأ أهل مكة في اضطهاد المؤمنين، وزادوا في تعذيبهم، فلم يعد أمامهم سبيل إلى النجاة إلاّ ترك بلادهم وأموالهم ، وعزموا على أن يشتروا عقيدتهم بما يملكون من متاع الدنيا ، وأن يضحوا في سبيلها بكل شيء ولو كان هذا الشيء هو الوطن الغالي على نفوس الناس .. من أجل هذا ضحّى المسلمون بالوطن والأهل والمال والولد فراراً بدينهم وعقيدتهم ولكن إلى أين يتجهون؟ لقد ذهبوا إلى الحبشة فوجدوا فيها أمناً وسلاماً ، ولكنهم لم يجدوا فيها تربة صالحة تحتضن تلك البذور حتى تنمو ، وليست الغاية من الهجرة الخلود إلى الراحة ، واقتناص فرص الأمن والطمأنينة ، وإنما هي خطوة إيجابية لنشر الدعوة ، وتثبيت العقيدة وإقامة الدولة التي هي أمل المؤمنين ، وليست أرض الحبشة ميداناً لهذا العمل العظيم ، لقد ثار أهلها على النجاشي ؛ لأنه أعلن إسلامه لما سمع ما سمع من وفد المهاجرين ، فكيف هذه البلاد تسمح بنشر الدعوة وإقامة الدولة؟ لذلك لا بد من البحث عن مكان صالح يلجأ إليه المهاجرون .

(١) سورة الحشر ، الآية : ٩ .

اتجه المسلمون إلى المدينة - حيث هاجروا جماعات وفرادى ، ورسول الله ﷺ مقيم في مكة ينتظر أمر ربه ، حتى أذن له في الهجرة فاصطحب أبا بكر رضي الله عنه وودعا مكة وسارا إلى المدينة ودخلاها في يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول[1] ، واستقبل الأنصار رسول الله ﷺ وصاحبه ومن قبلهما المهاجرين من المسلمين بالحفاوة والتكريم[2] .

لم تكن المدينة في حالة اقتصادية جيدة عند قدوم المسلمين إليها مهاجرين من مكة، وبعد ذلك استقر رأي الرسول ﷺ على أن يحدث في المدينة تغييراً شاملاً يقضي به على الفساد المستشري في أوضاعها، ويزيل المعالم التي من شأنها أن تثير الأحقاد بين سكانها ، ويرسي قواعد جديدة للأمة التي يريد تكوينها .

ولا شك أن الإسلام حين دخل المدينة ألّف بين الأوس والخزرج وانتهت بذلك جميع الخلافات التي استمرت مدة طويلة ، لهذا نجد أن سكان المدينة تفرغوا لأعمالهم الزراعية وبدأت المحاصيل الزراعية تكثر في المدينة ، وبدأ المهاجرون وأصحاب الخبرة التجارية يمارسون التجارة وأخذ الوضع الاقتصادي يتحسن قليلاً.

وبهذا بدأ الاقتصاد في المدينة بطيئاً والمسلمون ينتظرون اليسر بعد العسر والرسول ﷺ بينهم لا يتميز عنهم .

والإسلام حينما دخل المدينة كانت غارقة في أوضاع اقتصادية سيئة للأسباب الآتية:

١ - أن اليهود أمسكوا بزمام الأمر بواسطة رؤوس الأموال الضخمة .

٢ - تفشي الربا بصورة كبيرة من قبل اليهود وكاد يقضي على ممتلكات الناس .

٣ - انتشار الرشوة ، والعبث بالمكاييل والموازين .

---

(١) **مختصر سيرة الرسول** ﷺ ، ص١٧٢ .

(٢) ابن هشام . **السيرة** : ٤٩٢/١.

وأمام هذه الأوضاع الاقتصادية السيئة وضع الإسلام أسساً أرسى عليها الاقتصاد الذي يريد بناءه من جديد - لهذا أعطى الإسلام العمل منزلة عالية وقدراً رفيعاً، لهذا حث عليه ورغب فيه ، ولتأكيد هذا المعنى في النفوس قال رسول الله ﷺ (**ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وأن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**)(١) .

من هذا يتضح لنا منزلة العمل في الإسلام واهتمام الإسلام به، لأنه مصدر من مصادر تنمية الاقتصاد، لهذا أدرك المسلمون ذلك فكان كل رجل منهم يتخذ لنفسه حرفة يعيش منها إلى جانب ما يتلقاه من العلوم ويفيد فيه الناس.

والإسلام يرفض تنمية الاقتصاد من الطرق التالية :

- الرشوة والربا والغش إلى غير ذلك مما يؤدي إلى الإضرار بالناس .

وهذه الأمور كانت منتشرة قبل الإسلام بين المجتمع بالمدينة، والذي يظهر من تتبع أخبار الدولة الاقتصادية أن المسلمين بدأوا حياتهم في دولتهم الأولى في شظف من العيش وخشونة من اللباس وحاجة ماسة إلى الضرورات الأولية .

ولعل هذا هو الذي دفع الرسول ﷺ أن يجعل لهم المسجد بيتاً ونزلاً وبنى فيه الصفة التي كان يأوي إليها الفقراء من المسلمين .

وظلت الأوضاع كذلك بالنسبة للمسلمين ، وهذا الأمر طبيعي عند تأسيس الدول الناشئة وخاصة في مثل الظروف التي نشأت فيها دولة الإسلام ، فإنها قامت وكل جيرانها أعداء لها ، فلم يوجد لها من الأصدقاء من يقدم لها العون والمساعدة .

بدأت الأوضاع الاقتصادية في المدينة في التحسن شيئاً فشيئاً ، وخاصة

(١) رواه البخاري . **الصحيح** (٣ - ٧٠)

بعدما بدأ المسلمون معاركهم العسكرية مع أعدائهم ، وكسبوا من الغنائم والفيء ما وسع الله به عليهم .

- **أولاً: الزراعة :**

نظراً لما تتمتع به أرض المدينة من اعتدال في المناخ ووفرة المياه أصبحت بلداً زراعياً زاول غالبية أهلها الزراعة عرباً كانوا أم يهوداً . ومعظم سكان المدينة يعملون في أراضيهم الزراعية بأنفسهم(١) على مختلف مستوياتهم ، وذلك أنه لم يكن لأكثرهم خدم يكفونهم العمل في أراضيهم(٢) ، وقد عمل بعض الفقراء والمحتاجين الذين لا يملكون أراضي زراعية بأجرة عند غيرهم ممن يملكون الأراضي(٣) .

والزراعة هي عماد اقتصاد المدينة حين قدوم المهاجرين إليها ، وكان التمر أهم محصولاتها الاقتصادية(٤) ، يليه في الأهمية الشعير حيث كان منهما غالب طعام أهلها، وإلى جانب هذين المحصولين الرئيسين محاصيل أخرى كثيرة ومتنوعة مثل الخضروات والقمح والفواكه . ويذكر ياقوت أنه كان يزرع بالمدينة محصول زراعي يدعى (حب البان) ويبدو أن لهذا المحصول أهمية اقتصادية لأهالي المدينة حيث ذكر أنه كان مما يصدر إلى خارج البلدة(٥).

---

(١) محمد بن إسماعيل البخاري . **صحيح البخاري**: ١٣٣/٨ ٠- بيروت : دار إحياء التراث. مسلم ابن الحجاج القشيري . **الجامع الصحيح** ٤٢/٢ ٠- بيروت : دار الفكر . أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني. **الإصابة في تمييز الصحابة**: ٣٨/٢ الكتبخانة الخديوية، ١٣٢٨هـ.

(٢) البخاري . **الصحيح** : ٣٠/٤ .

(٣) محمد بن عمر الواقدي: **المغازي** : ١٨١/١ ٠- بيروت : مؤسسة الأعلمي ، ١٩٦٦م .

(٤) أحمد إبراهيم الشريف . **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول**: ٣٥٧ (دار الفكر العربي) .

(٥) ياقوت بن عبدالله الحموي . **معجم البلدان** : ٨٧/٥ ٠- بيروت : دار صادر ، ١٣٩٧هـ . **البان:** شجرة معروفة، حبها أكبر من الحمص، مائل إلى البياض، طيب الرائحة وله لب ويستعمل استعمالات طبية .

ويستنتج من حديث رواه البخاري(١) أن الأنصار عرضوا على رسول الله ﷺ حين قدومه المدينة أن يقسم أراضيهم الزراعية بينهم وبين إخوانهم المهاجرين الذين تركوا أموالهم بمكة ، فلم يوافق رسول الله ﷺ على هذا العرض من الأنصار ، وفضّل أن تبقى أراضي الأنصار ونخيلهم بأيديهم كما هي ويتولون زراعتها والعناية بها وحدهم دون المهاجرين ، على أن يتكفلوا بمساعدة إخوانهم المهاجرين وذلك بتقديم ما يكفي حاجتهم من ثمارها ومحاصيلها - وقد قام الأنصار فعلاً بمنح بعض المهاجرين عذاقاً(٢) في مزارعهم يأخذون ثمارها، وذلك مساعدة لهم من الأنصار بدون مقابل(٣) . ويشير الحديث السابق إلى أن المهاجرين لم يعملوا في زراعة الأراضي بالمدينة في عهد النبي وذلك بأمر منه(٤).

وأخرج ابن شبة حديثاً آخر في المعنى نفسه ، ولكنه بلفظ آخر أكثر وضوحاً ، فقد روي عن أنس أنه قال: قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أكثر بذلاً من كثير، ولا أكثر مواساة من قليل، كفونا المؤنة وأشركونا في المنأ - فقد خشينا أن يكون قد ذهبوا بالأجر كله فقال رسول الله ﷺ : **كلا ما دعوتم لهم**

---

(١) جاء في الحديث: عن أبي هريرة قال : قالت الأنصار للنبي ﷺ : قسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: لا ، تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة، قالوا : سمعنا وأطعنا. انظر البخاري . **الصحيح**: ١٣٦/٣ وكذلك انظر **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ١١٣/٧ .

(٢) عذاق: جمع عذق وهو النخلة بحملها . محمد بن مكرم . **لسان العرب** ٢٣٨/١٠ - بيروت : دار صادر .

(٣) البخاري . **الصحيح** : ٢١٦/٣-٢١٧ مسلم . **الصحيح** : ١٣٦/٥ .

(٤) وهناك شواهد تاريخية أخرى تؤكد حرص النبي ﷺ على عدم السماح للمهاجرين بالانشغال بزراعة الأرض . وقد علل حسن إبراهيم حسن ذلك فقال: إن السبب هو الرغبة في أن يكون كل مسلم جندياً على أهبة الاستعداد على أن يمنح عطاءً معيناً مقابل الخدمة . انظر حسن إبراهيم حسن . **تاريخ الإسلام السياسي** ٣٢٢/١ مكتبة النهضة المصرية .

وأثنيتم عليهم[1] وقد فسر العمري موقف رسول الله ﷺ ورفضه مبدأ تقسيم أراضي الأنصار بينهم وبين إخوانهم المهاجرين بالعمل في الزراعة ؛ لأن رسول الله ﷺ كان في حاجة إليهم ليقوموا معه بتحمل مهام الجهاد والدعوة[2] .. ومن المعروف أن عبء القتال والجهاد كان يقع في بداية الأمر على عاتق المهاجرين ، فقد روي أن الأنصار لم يشتركوا مع رسول الله ﷺ قبل غزوة بدر الكبرى في غزوة ولا سرية[3].

ومما يؤيد عدم اشتغال المهاجرين بأيديهم في الزراعة بالمدينة أن رسول الله ﷺ لما غنم أراضي بني النضير وغيرهم من اليهود في يثرب وأقطع منها للمهاجرين[4] ؛ ذكر أنهم أعطوها مزارعة لمن يصلحها لهم ويزرعها مقابل شيء معلوم من نتاجها[5].

كما تجدر الإشارة هنا إلى أنه لم يكن للمهاجرين في زمن رسول الله ﷺ[6]

---

(١) عمر بن شبة النميري البصري . **تاريخ المدينة المنورة** : ٤٩٠/٢ -٠- جدة : دار الأصفهاني للطباعة ، ١٣٩٣هـ . انظر محمد بن محمد بن عبدالله . **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير** ٢٤٢/١) -٠- ط٣ -٠- بيروت: دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠٢هـ.

(٢) العمري. **المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته**: (٧٤). الكتاني. **التراتيب**: (٤٥/٢).

(٣) الواقدي . **المغازي** : ١٠/١ . كذلك : خليفة بن خياط بن أبي هبيرة . **تاريخ خليفة بن خياط** : ٦١ -٠- ط٢ -٠- الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٥هـ .

(٤) الواقدي . **المغازي** : ٣٧٩/١ . أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري . **فتوح البلدان** : ٣٢ -٠- بيروت : دار مكتبة الهلال .

(٥) أبو يوسف يعقوب الأنصاري . **كتاب الخراج** : ٩٠ -٠- بيروت : دار المعرفة .

= **المزارعة**: أن يعطي صاحب الأرض أرضه إلى شخص يقوم بزراعتها على أن يكون لصاحب الأرض جزء من محصولها . أبو يوسف . **الخراج** : ٨٨ .

(٦) انظر البخاري . **الصحيح** : ٣٠/٤ .

= كان رسول الله ﷺ يبعث بما يأتيه من سبي لبيعهم خارج المدينة ويؤتى له بأثمانهم السلاح. انظر الواقدي . **المغازي** ٣٣٥/٢. كذلك أحمد بن محمد بن حنبل. **المسند**: ٧٩/١ -٠- دار الفكر العربي. انظر أيضاً البخاري . **الصحيح**: (١٢٠/٤).

عبيد يستخدمونهم في إصلاح أراضيهم وزراعتها، كما يفعل الناس في مكة في أراضيهم التي كانوا يملكونها .. هذا إلى جهل غالبية المهاجرين بشئون الزراعة وقلة خبرتهم بأمورها[١] .

ولعل استبعاد اشتغال المهاجرين بالزراعة يخالف الرأي القائل: إن المهاجرين قد عملوا بالزراعة في المدينة إلى جانب الأنصار ، ولعل الذي حدث هو العكس تماماً؛ ذلك أنه عندما أقطع النبي ﷺ بعض الصحابة من المهاجرين أراضي بالمدينة، قام أولئك بدفعها إلى من يصلحها ويزرعها من الأنصار مقابل جزء معلوم من نتاجها يتفق عليه الطرفان مسبقاً[٢].

ويبدو أن الزراعة في المدينة قد ازدهرت وتحسنت في عهد النبوة عمّا كانت عليه من قبل وذلك بسبب تشجيع النبي لأصحابه باستصلاح ما أقطعهم[٣] من أراضٍ كما يروى أن النبي ﷺ كان يأمر الناس بغرس فسائل النخيل في مكان ما يقطع من شجر[٤] .

- **ثانياً : التجارة :**

كان احتراف التجارة من الأعمال الرئيسة التي زاولها أهل المدينة من عرب ويهود ، ويبدو أن اليهود كانوا يشكلون الغالبية العظمى لتجار المدينة عند مقدم رسول الله ﷺ ، ويتضح ذلك من خلال الروايات التي تدل على كثرة تعامل النبي ﷺ وعامة الصحابة مع تجار من اليهود[٥] ، ولعل ما عرف عن اليهود من شدة الجشع

---

(١) يحيى بن آدم القرشي . **كتاب الخراج** : ١١٤-٠ بيروت : دار المعرفة .

(٢) أبو يوسف . **الخراج** : ٩٠ .

(٣) ابن سعد . **الطبقات** : (٣/٢٢٢) .

(٤) البلاذري . **الفتوح** : (٢٣) .

(٥) انظر الواقدي . **المغازي** : (١/٤٠١) . البخاري . **الصحيح** : (٦/١٩) ، كذلك عبدالرحمن بن علي بن الجوزي . **صفة الصفوة** : (١/٤٩٣) ٠- ط٣ ، دار المعرفة ، ١٤٠٥هـ .

وحب المال وتعاملهم مع غيرهم من الناس بالربا الفاحش وعدم التسامح ، كان كل ذلك من أسباب سيطرتهم على رؤوس الأموال بالمدينة ، وأنه كثيراً ما كان يتعرض الأنصار لضياع أموالهم بسبب تعاملهم المالي مع اليهود(١).

ويبدو أن التجارة كانت تأتي في المقام الثاني بعد الزراعة في المدينة ، وقد نشطت التجارة الداخلية منها التي كانت تتمثل في تبادل السلع المحلية المختلفة من المنتجات الزراعية والحيوانية لأهل المدينة ، ومما يجلبه أهل البادية من خيل وإبل وأغنام ومنتجاتها من الألبان والأصواف وغيرها(٢) هذا بالإضافة إلى ما ينتجه صنّاع المدينة من مختلف الصناعات المعدنية من أسلحة وأدوات وحلي وتحف(٣) وغير ذلك من الصناعات الأخرى التي اشتهرت بها المدينة .

وقد قامت لأجل ذلك أسواق عدة في المدينة ؛ لتصريف تلك المنتجات وتبادل السلع .. ومن تلك الأسواق أسواق كانت مشهورة ومعروفة في الجاهلية وظلت قائمة حتى قدوم النبي ﷺ والمهاجرين إلى المدينة ، نذكر منها سوق زبالة شمال المدينة(٤)، وسوق الجسر في بني قينقاع(٥) وكانت تعرف باسمهم فيقال لها سوق بني قينقاع ،

---

(١) انظر الواقدي . **المغازي** : (١/٤٠١) ، البخاري . **الصحيح**: ٧/١٠٣) ، ابن الجوزي . **الصفة** : (١/٤٩٣) .

(٢) ابن شبة . **تاريخ المدينة** : (١/٣٠٦)، السمهودي . **وفاء الوفاء** : (٤/٢٢٨).

(٣) الواقدي . **المغازي** : (١/١٧٦) .

(٤) السمهودي . **وفاء الوفاء** : (٢/٧٤٧) = الزبالة : هي زبالة الزج الشمالي للمدينة (انظر السمهودي . **وفاء الوفاء** : (٤/١٢٣٨).

(٥) سوق بني قينقاع: كان سوقاً عظيماً في الجاهلية عند جسر بطحان يتكرر أكثر من مرة في السنة ، ويتفاخر الناس به ويتناشدون الأشعار . السمهودي . **وفاء الوفاء**: (٤/١٢٣٨) .

وسوق الصفاصف بالعصبة[١] ، ومن تلك الأسواق أيضاً سوق زقاق ابن حيين ، وكان يقال لموضعها مزاحم[٢]، ومن أسواق يثرب أيضاً سوق الربذة وكان يقال لها أهوى[٣]. ولما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة واستقر المسلمون بها ، أراد عليه الصلاة والسلام أن يجعل للمسلمين سوقاً خاصة بهم ، فأنشأ سوقاً جديدة جعلها مباحة لجميع المسلمين لا يؤخذ منها ضريبة ، وجعلها صدقة عليهم[٤] وأطلقت على هذه السوق أسماء كثيرة ، فكان يقال لها بقيع الخيل[٥] كما أطلق عليها أيضاً اسم البطحاء[٦] وسميت كذلك بسوق حرض[٧].

وقد أدى وقوع المدينة على الطريق التجاري القديم الممتد عبر شبه الجزيرة العربية فيما بين اليمن جنوباً إلى الشام شمالاً إلى أن جعل لها حظاً طيباً في المشاركة بنصيب وافر في التجارة الخارجية لبلاد العرب، فقد ساعد موقعها وخصوبة أرضها إلى اتخاذها محطة للتجارة[٨] ، فنشطت بها التجارة البرية، كما

---

(١) **الصفاصف**: موضع بين سد عبدالله بن عمرو بن عثمان ، وبين العصبة ، **والعصبة** : آبار عذبة يزرع عليها لبني خفاف من بني سليم . السمهودي . **وفاء الوفاء** : (١٢٥٢/٤) .

(٢) **مزاحم** : حصن كان بين بيوت بني الحبلى ، كان لعبدالله بن أبي بن سلول . محمد بن يعقوب الفيروزأبادي . **المغانم المطابة في معالم طابة**: (٣٨٠) ٠- ط١ ، دار اليمامة.

(٣) السمهودي . **وفاء الوفاء** : (١٣٢٨/٤) ، **الربذة** : قرية تبعد عن المدينة بثلاثة أيام (السمهودي. **وفاء الوفاء**: (٧٤٨/٣) .

(٤) ابن شبة . **تاريخ المدينة**: (٣٠٤/١)، السمهودي . **وفاء الوفاء** : (٧٤٨/٢) .

(٥) ابن شبة . **تاريخ المدينة** : (٣٠٦/١) .

(٦) السمهودي . **وفاء الوفاء** : (١٣٢٨/٤) .

(٧) ابن شبة . **تاريخ المدينة** : (٣٠٦/١) .

(٨) الشريف . **مكة والمدينة** : (٣٧١) .

أصبح ميناؤها القديم الجار[١] منفذاً لها على البحر حيث ترسو كثير من السفن التجارية القادمة من الحبشة واليمن للتبادل التجاري[٢] . وقد برع بعض اليهود في التجارة الخارجية أيضاً، ويروى أن نجاح أحدهم قد أثار حقد بعض تجار قريش في الجاهلية ، واعتبروه منافساً خطيراً لهم[٣]، وكان بعض أولئك اليهود يخرجون بأنفسهم للتجارة الخارجية ويعودون إلى المدينة بما يحتاجه أهلها من مختلف أنواع السلع والطعام[٤] .. بينما يكتفي بعضهم بإرسال تجاراتهم إلى الشام برفقة القوافل التجارية ، ويقومون باستيراد بعض الأقمشة المختلفة من الشام[٥] . وقد عمل الأنصار في التجارة الداخلية والخارجية أيضاً . وممن عرفوا بالتجارة منهم في عهد الرسول ﷺ أبو معلق الأنصاري[٦] والبراء بن عازب ، وزيد بن الأرقم[٧] وكان يأتي المدينة إلى جانب تجارها من العرب واليهود بعض التجار الغرباء الذين يحملون معهم مختلف بضائع الشام وأطعمتها وطرائفها[٨] ، كذلك كان

---

(١) **الجار**: ساحل على شاطئ البحر القريب منها ترسو فيه السفن . عبدالله بن عبدالعزيز البكري . **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** : (٣٥٥/٢) .

(٢) البكري . **معجم ما استعجم** : (٣٥٥/٢) ، عمر السيد رجب . **تاريخ المدينة** : (٤٣) ٠- ط١٠- دار الشروق ، ١٣٩٩هـ .

(٣) محمد بن حبيب بن أمية . **المنمق في أخبار قريش**: ٩٠ ٠- ط١ ، عالم الكتب . البلاذري . **الأنساب**: (٧٣/١) ، الشريف . **مكة والمدينة** : (٣٧١) .

(٤) البخاري . **الصحيح** : (٧٣/٣) . جواد علي. **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** (١٤١/٤)٠- بيروت : دار العلم للملايين.

(٥) الشريف . **مكة والمدينة** : (٣٧١) .

(٦) ابن حجر . **الإصابة** : (١٨٢/٤) . الكتاني . **التراتيب** : (٢٨/٢) . أبو معلق الأنصاري: من أصحاب الرسول ﷺ ، وكان تاجراً ، ابن حجر. **الإصابة**: (١٨٢/٤) .

(٧) البخاري . **الصحيح** : (٧٣/٣) ، مسلم . **الصحيح** (٤٥/٥) ، جواد علي . **المفصل** : (١٤١/٤).

(٨) محمد بن عمر . **فتوح الشام** : (١٧/١) ، الواقدي . **المغازي** : (٩٨٩/٣) .

لتجار فارس صلة واتصال تجاري بأسواق المدينة . ويروى أنهم كانوا يأتونها أيضاً ببضائع بلادهم[١] .

ولما قدم المهاجرون إلى المدينة عمل بعضهم بالتجارة[٢] خاصة وأن التجارة كانت حرفتهم الرئيسة في مكة قبل الهجرة ، فكانوا يخرجون إلى الأسواق يبيعون ويشترون[٣] كما كانوا يشاركون أيضاً في أسواق العرب الموسمية التي كانت تقام في أماكن متفرقة خارج المدينة[٤] .

وكانوا إلى جانب ذلك يخرجون في رحلات طويلة إلى بلاد الشام[٥] وغيرها من البلاد البعيدة بقصد التجارة ، ويستنتج من رواية البخاري أن المهاجرين الأولين كانوا يخرجون إلى الشام للتجارة منذ مقدمهم إلى المدينة وقبل هجرة النبي ﷺ إليها، فقد جاء في الحديث، أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياباً بيضاً[٦] .

ويبدو أن المهاجرين استطاعوا بعد فترة وجيزة من إقامتهم بالمدينة أن

---

(١) ابن حجر . **الإصابة** : (٤/٤٤) .

(٢) مسلم . **الصحيح** : (٧/١٦٧) .

(٣) البخاري . **الصحيح** : (٣/٦٩) .

(٤) الواقدي . **المغازي** : (١/٣٨٤) .

(٥) الواقدي . **المغازي** : (٣/٥٦٤) . ابن قتيبة . **المعارف** : (١٤٣) ٠- بيروت : دار احياء التراث .

(٦) البخاري . **الصحيح** : (٥/٧٧) . انظر أيضاً محمد بن محمود النجار . **أخبار مدينة الرسول المعروف بالدرة الثمينة**: (٣٤)٠- مكة المكرمة : مكتبة الثقافة ، ١٤٠١هـ .

= **البداية والنهاية** . ابن كثير : (٣/١٨٦) ٠- بيروت : مكتبة المعارف .

= صفي الرحمن المباركفوري . **الرحيق المختوم** : ١٩٠ .

= انظر أيضاً رواية أخرى ذكرها ابن سعد ولكنها تذكر أن الذي كسا رسول الله في طريق هجرته هو طلحة بن عبدالله . ابن سعد . **الطبقات** : (٣/٢١٥) .

ينشطوا في أسواقها التجارية، وذلك بسبب ما عرف عنهم من مهارة فائقة في تصريف أمور التجارة ، فقد حقق كثير منهم أرباحاً ومكاسب هائلة في وقت قصير ، واشتهر جماعة من كبار المهاجرين بالتجارة في المدينة، نذكر منهم على سبيل المثال : أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف .. ومما يذكر أن عبدالرحمن بن عوف استطاع تحقيق ثروة عظيمة في المدينة في زمن قصير .. ويروى أنه عندما قدم إليها مهاجراً كان فقيراً لا يملك شيئاً ، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري(1) أحد أثرياء المدينة ، فعرض عليه سعد أن يقتسم معه كل ما يملك من مال فأبى ابن عوف ذلك على نفسه وفضّل أن يبدأ بالعمل بالتجارة بداية متواضعة، فخرج إلى سوق بني قينقاع فباع واشترى ، ثم توالت عليه المكاسب حتى اغتنى وكثرت أمواله(2). فيروى أنه تصدق على عهد رسول الله ﷺ بأموال كثيرة على فترات فقد روي أنه بلغ ما تصدق به في إحدى المرات أن حمل خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل مرة أخرى على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله ، وذكر أن عامة ماله من التجارة(3) .

ويستنتج من بعض الروايات أن رسول الله ﷺ كان يشجع عامة المسلمين على مزاولة التجارة . ويبدو أن السبب الذي دفع الرسول ﷺ إلى ذلك هو قلة موارد المسلمين المالية في المدينة ، وما كان يعانيه المسلمون من ضائقة مالية شديدة(4) قد لا يستطيعون التغلب عليها إلاّ بالعمل بالتجارة؛ ذلك لما عرف من مكاسبها العظيمة ،

---

(1) سعد بن الربيع: هو سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك ، أحد نقباء الأنصار شهد العقبة وبدراً واستشهد يوم أحد. ابن حجر . **الإصابة** : (٢/٢٦).

(2) البخاري . **الصحيح** : (٣/٦٩) .

(3) ابن الجوزي . **صفة الصفوة** : (١/٣٥٣) .

(4) انظر البخاري . **الصحيح** : (٥/١٧٥) .

وكان المسلمون بحاجة إلى موارد اقتصادية مستمرة ليتمكنوا من مجابهة أعدائهم الأقوياء اقتصادياً كاليهود في داخل المدينة وقريش وحلفائها في خارجها .

وقد تجلى موقف رسول الله ﷺ من تشجيع التجارة عندما خرج وأصحابه من مهاجرين وأنصار للقاء أبي سفيان بن حرب يوم بدر الموعد[1] . وكانت بدر مكاناً يجتمع فيه العرب، وتقام به أسواقهم الموسمية[2].

فخرج المسلمون مع رسول الله ﷺ بتجارة وبضائع ، فوصلوا بدراً ليلة قيام ذلك السوق ، وأقاموا بها ثمانية أيام يبيعون ويشترون ويعقدون الصفقات[3] وذكر الواقدي أن المسلمين كانوا أكثر أهل ذلك الموسم .

حيث بلغ عددهم ألفاً وخمسمائة رجل[4] ، كما روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: «فلقد خرجت ببضاعة إلى موسم بدر فربحت للدينار ديناراً فرجعنا بخير وفضل من ربنا»[5] .

وكان التجار المسلمون من مهاجرين وأنصار لا يضيعون فرصة يستطيعون العمل من خلالها على تنمية مواردهم المالية وعقد الصفقات التجارية، فيروى أنهم

---

(١) بدر الموعد: لما انصرف أبو سفيان بن حرب يوم أحد ومن معه من قريش نادى المسلمين قائلاً: موعدكم العام القابل. فقال رسول الله نعم هو بيننا وبينكم الموعد. عبدالملك بن هشام . **السيرة النبوية**: (٩٤/٢) -ط٢ - مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي (٥٧٣١) ، البلاذري . **الأنساب** : (٩٣٢/١) .

(٢) الواقدي- **المغازي**: (٣٨٤/١)، ابن سعد . **الطبقات**: (٦٠/٢)، الحسن بن أحمد الهمداني . **صفة جزيرة العرب**: (٣٣٢) .

(٣) الواقدي . **المغازي** : (٣٨٧/١) ، ابن سعد . **الطبقات** : (١٠/٣) .

(٤) الواقدي . **المغازي** : (٣٨٧/١) .

(٥) أبو داود سليمان بن الأشعث . **صحيح سنن المصطفى** : (٤٣٩/١) (دار الكتاب العربي) .

كانوا يتاجرون أحياناً أثناء خروجهم للغزو ، وحدث ذلك في غزوتي خيبر وتبوك[1] كما يروي دحية بن خليفة الكلبي[2] ، الذي بعثه رسول الله ﷺ بكتاب إلى عظيم بصرى[3]، ليسلمه بدوره إلى قيصر الروم قد خرج بعد انتهاء مهمته إلى أسواق بصرى ، وعاد محملاً بتجارة وبضائع من تلك البلاد[4] .

وقد التحق بعض كبار الصحابة في العمل بالتجارة ، حتى أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حينما ذكر له أثناء خلافته أحد الأحكام الشرعية التي لم يسمعها عن النبي ﷺ ، ذكر أن سبب فوات ذلك عليه هو كثرة انشغاله بالتجارة في حياة النبي ﷺ [5].

إلاّ أنه يجب أن نوضح هنا إلى أنه على الرغم من كثرة اشتغال بعض أصحاب النبي ﷺ بالتجارة الداخلية والخارجية ، فقد كانوا لا يتخلفون عن الخروج للجهاد مع رسول الله ﷺ وشهود غزواته إذا كانوا حاضرين بالمدينة، وقد قيل فيهم : «كان القوم يتبايعون ويتاجرون ، ولكنهم إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه إلى الله[6] ، وقد ذكر الله في كتابه الكريم قوله

---

(١) ابن سعد . **الطبقات** : (١٠/٣) .

(٢) دحية بن خليفة الكلبي : صحابي مشهور ، لم يشهد بدراً ، بل شهد الخندق وقيل أحداً ، كان يضرب فيه المثل في حسن الصورة ، وكان جبريل عليه السلام ينزل على صورته . ابن حجر . **الإصابة** : (٤٧٣/١) .

(٣) بصرى: من أعمال دمشق ، وهي قصبة كورة حوران ، مشهورة عند العرب قديماً . ياقوت . **البلدان** : (٤٤١/١) .

(٤) ابن هشام . **السيرة** : (٦١٣/٢) .

(٥) البخاري . **الصحيح** : (٧٢/٣) .

(٦) ابن قتيبة . **المعارف** : (١٤٣) ، البخاري . **الصحيح** : (٦٩/٣) .

تعالى[1] : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾[2].

- ثالثاً: الصناعات والحرف :

قامت في المدينة بعض الصناعات والحرف الضرورية ؛ لتلبية متطلبات لا يستطيع أي مجتمع مستقر البقاء بدونها ، كما قامت فيها بعض الصناعات التكميلية الأخرى كصناعة الحلي . ومن أهم الصناعات التي قامت في المدينة ، تلك الصناعات التي تعتمد في مواردها الأولية على المنتجات الزراعية المحلية ، مثل تجفيف التمور ، وتخزينها وإعدادها للبيع وصنع الخمر منها قبل تحريمه[3] . كما استخدم سعف النخيل وأليافه في عمل أدوات كثيرة مثل القفف والحصر[4] ، وغير ذلك مما يحتاجه الناس لاستخدامه في الأعمال الزراعية والاستعمالات الشخصية في البيوت - ومن الصناعات التي كانت شائعة في المدينة واعتمدت على الإنتاج الزراعي أيضاً حرفة النجارة التي نشطت لتوفير متطلبات الناس المتزايدة لقطع الأثاث المنزلي كالكراسي والأسرّة[5] وما شابه ذلك مما يحتاجه الناس في بيوتهم ، بالإضافة إلى عمل أبواب البيوت والنوافذ وغير ذلك من الأشياء التي يستخدم

---

(١) البخاري . **الصحيح** : (٦٩/٣) .

(٢) سورة النور، الآية: ٧٣ .

(٣) البخاري . **الصحيح** : (١٣٦/٧) ، الشريف . **مكة والمدينة** : -٣٧٦) .

= حرمت الخمر في السنة الرابعة من الهجرة (البلاذري . **الأنساب** : (٢٧٢/١) .

(٤) علي بن محمد الخزاعي . تخريج الدلالات السمعية على ماكان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية : (٣٢٧) ٠- القاهرة : لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٤٠١هـ .

(٥) الشريف . **مكة والمدينة** : (٣٧٦) .

الخشب في تصنيعها ، وقد ساعد على انتشار هذه الحرفة توافر الخشب في المنطقة ، حيث يكثر شجر الطرف والأثل في الجهة الشمالية من المدينة[١] .

كما قامت صناعات أخرى اعتمدت على بعض المنتجات الحيوانية نذكر من تلك الصناعات : دباغة جلود الحيوانات[٢] وخرازتها[٣] بعد دبغها لتحويلها إلى أدوات نافعة لاستعمال الناس ، كذلك إعداد الصوف وتنظيفه[٤] وغزله ليصبح صالحاً لاستعماله في صناعة النسيج[٥] .. ومما يجدر ذكره أن النساء كن يعملن في بعض الصناعات السابقة كالدباغة والخرازة والنسيج[٦] . ومن الصناعات التي اشتهرت بها المدينة الحدادة[٧]، حيث كان الحدادون يصنعون الآلات التي يحتاجها المزارعون في أعمالهم الزراعية ، كالفؤوس والمحاريث والمساحي والمناجل ، كما كانوا يجيدون صناعة الأنواع المختلفة من الأسلحة ، كالسيوف والدروع ، والسكاكين وأدوات الصيد المختلفة وغير ذلك من الأدوات المعدنية التي لا غنى للناس عنها في حياتهم اليومية ، واشتهرت المدينة أيضاً بالصياغة وصناعة الحلي والتحف المعدنية

---

(١) البخاري . **الصحيح** : (٣/٨٠) ، مسلم . **الصحيح** : (٢/٧٤) .

(٢) ابن حجر . **الإصابة** : (٤/٢٨٦) ، جمال الدين أبو المحاسن . **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** : (١/١١٨).

(٣) ابن حجر . **الإصابة** : (٤/٣١٤) ، **الكتاني** : (٢/٥٢) .

(٤) انظر البخاري . **الصحيح** : (٩/١٥) .

(٥) البخاري . **الصحيح** : (٣/٧٩-٨٠) ، ابن عبد البر . **الاستيعاب** : (١/٢١٦) ، الخزاعي . **الآلات** : (٧٢٠) .

(٦) ابن حجر . **الإصابة** : (٤/٢٨٦ -٣١٤) .

(٧) مسلم . **الصحيح** : (٧/٧٦) . **التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة** : (١٩) (الناشر أسعد طرابزوني) . جواد علي . **المفصل** : (٧/٥٠) .

المختلفة . وقد عمل بعض الأنصار في هذه الصناعة[١] ؛ إلا آن اليهود اشتهروا اكثر باحتراف هذه الصناعة[٢] ، واختص بها بنو قينقاع على وجه الخصوص، حيث كانت الصياغة هي الحرفة الرئيسة لهذا الحي من اليهود ، إذ يروى أنهم لم يعملوا بالزراعة ولم تكن لهم بالتالي أراضٍ زراعية في المدينة[٣] ، وكانت لبني قينقاع سوق كبيرة تنسب إليهم، يبيعون فيها ما يصنعون من مختلف أنواع الحلي والتحف المعدنية وكانت لمصنوعاتهم شهرة واسعة في المنطقة، حيث كانت النساء يأتين إلى سوقهم من مختلف الجهات لشراء ما يرغبن فيه من أنواع الحلي المختلفة[٤] . ويروى أنه لما أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة وجد بحوزتهم كميات كبيرة من مختلف أنواع الأسلحة المعروفة في ذلك الوقت ، وعدد كبير من آلات الصياغة[٥] . وعمل بعضهم إلى جانب الحرف السابقة ببعض الأعمال الأخرى مثل التعدين وهو استخراج المعادن[٦] من الأرض وكذلك عمل بعضهم في فنون النحت والتصوير والنقش[٧] ، كما امتهن البعض الصيد[٨] وعمل آخرون في الأسواق أعمالاً متنوعة مرتبطة بالبيع والشراء كان يعمل أحدهم حمالاً[٩] أو وزاناً يزن للناس ما يحتاجون إلى وزنه[١٠] .

---

(١) جواد علي . **المفصل** : (٧/٥٠) .

(٢) محمد بن أحمد المطري ، **التعريف بما أنست الهجرة ومن معالم دار الهجرة** : (١٩/٢٠) .

(٣) الواقدي . **المغازي** : (١/١٧٩) .

(٤) الشريف . **مكة والمدينة** : (٣٧٧) .

(٥) ابن سعد . **الطبقات** (٤/٢٩) .

(٦) ابن حجر . **الإصابة** : (٤/٤٤) ، الكتاني . **التراتيب** : (٣/٣٨) .

(٧) مسلم . **الصحيح** : (٦/١٦١) .

(٨) الخزاعي . **الدلالات** : (٧٥٣) .

(٩) البخاري . **الصحيح** : (٣/١٣٠) .

(١٠) الكتاني . **التراتيب** : (٣/٣٣، ٣٥)

كذلك احترف بعض أهل المدينة مهناً أخرى كالخياطة[1] والجزارة[2] والحجامة[3] وما شابه ذلك من أعمال ، ويستدل من بعض الروايات أنه كان في المدينة من يحترف تعليم الصبيان القراءة والكتابة[4] .

وكانت مهنة الرعي من الأعمال التي كان يمارسها بعض أهل المدينة، فقد كانت لهم ثروة لا بأس بها من الإبل والماشية والخيول والأغنام[5] التي تحتاج إلى الرعي ، فكانوا يخرجون لرعيها[6] في المناطق الصالحة للرعي مثل منطقة الغابة[7] وغيرها ، كما كان بعض سكان المدينة يعملون بمهنة الاحتطاب من المناطق المحيطة بها ، ويحضرون ما يستطيعون على جمعه لبيعه في الأسواق ، فيشتريه الناس لاستعماله كوقود في الأغراض المنزلية أو لبيعه للحدادين والصاغة الذين يستعملونه كوقود في عملهم ، كذلك كانت السقاية[8] من الأعمال التي يزاولها البعض ، وذلك بحمل الماء من الآبار البعيدة وتوصيلها إلى بيوت الناس والمسجد ، وقد مارس الصناعات والحرف السابقة جميع أهل المدينة من عرب ويهود[9] ، وكان لبعضهم غلمان وعبيد يعملون في بعض تلك الصناعات والحرف لحساب ساداتهم[10].

---

(١) البخاري . **الصحيح** : (٧٩/٣) .

(٢) المصدر السابق : (٧٦/٣) .

(٣) مسلم . **الصحيح** : (٣٩/٥) .

(٤) ابن سعد . **الطبقات** : (٣٥٦/٣) ، الخزاعي . **الدلالات** : (٧١/٧) .

(٥) ابن حجر . **الإصابة** : (٥/٢ ، ١٦) ، الطبري . **تاريخ الرسل والملوك** : (٩٨/٣) ط٢ .

(٦) الواقدي . **المغازي** : (٥٣٨/٢) .

(٧) المصدر السابق : (٥٣٨/٢) .

(٨) البخاري . **الصحيح** : (١٤٩/٣) .

(٩) مسلم . **الصحيح** : (٤٥/٦) .

(١٠) البخاري . **الصحيح** : (٥٣/٥) .

ويبدو أن المهاجرين ومنذ قدومهم إلى المدينة لم يقبلوا على الاشتغال بأي من تلك الصناعات والحرف ، ولم ينصرف أحد منهم للارتزاق منها أو التكسب ، حتى أن بعض المهاجرين الذين اشتهروا باحتراف بعض تلك المهن وإجادة صنعها في الجاهلية ، لم أتمكن من العثور على ما يدل على أنهم اتجهوا إلى احترافها في المدينة بعد الهجرة ، مثال ذلك خباب بن الأرت[1] الذي كان يصنع السيوف في الجاهلية بمكة ، ويبدو أنه ترك العمل بهذه المهنة بعد هجرته إلى المدينة ، حيث لم أجد ما يثبت أنه زاول هذه المهنة بعد الهجرة .

كما يلاحظ أن ذكر عمله بهذه المهنة كان دائماً مقروناً بالجاهلية[2] ولم يرتبط اسمه بهذه المهنة بعد هجرته ، وهذا فيما يبدو دليل على عدم احترافه لهذه المهنة في المدينة .

ومن المرجح أن المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ قد انقسموا إلى فئتين استطاعت فئة منهم الجمع بين العمل بالتجارة والاكتساب منها وبين الجهاد في سبيل الله والتفقه في أمور الدين ومعاونة النبي ﷺ في رعاية شؤون المسلمين ، أما الفئة الأخرى فلم يستطع أفرادها الجمع بين كل ذلك فتركوا العمل والتكسب واكتفوا بالجهاد وملازمة رسول الله ﷺ للتفقه في الدين وتنفيذ ما يكلفهم به من أعمال ، إلى جانب خدمته شخصياً مع تدبير شؤون حياتهم الخاصة ، وكان أفراد هذه الفئة من الصحابة ينفقون مما يحصلون عليه من غنائم عند خروجهم للغزو[3] فإذا ما

---

(١) ابن هشام . **السيرة** : (٣٥٧/١) ، البلاذري . **الأنساب** : (١٧٦/١) .

(٢) ابن هشام . **السيرة** : (٣٥٧/١) ، البخاري . **الصحيح** : (٧٩/١) .

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام . **الأموال** : (٣٨٢) ،- بيروت : دار الفكر .

نفد ما عندهم[١] اكتفوا بما يأتيهم من المساعدات التي كان يقدمها لهم أغنياء المهاجرين والأنصار ، فإذا لم يقدم لهم شيء لا يسألون أحداً[٢] ، وإنما يخرجون للارتزاق بعمل مؤقت مثل الاحتطاب[٣] أو الحمالة أو العمل أجراء عند البعض لتوفير ما يلزمهم من ضروريات الحياة[٤] .

ولعل السبب الذي جعل المهاجرين يبتعدون عن الاشتغال بالصناعات والحرف هو السبب نفسه الذي أبعدهم عن العمل بالزراعة ، وذلك لأنهم هاجروا من ديارهم وتركوا أهلهم وأموالهم بغية الجهاد في سبيل الله ونصرة الدين ، فكانوا لذلك يتجنبون الارتباط بأي عمل من الأعمال التي تحتاج إلى الاستقرار أو الارتباط بما قد يشغلهم عن القيام بتحقيق الهدف الذي هاجروا من أجله ، هذا إلى جانب انشغالهم بأمورهم الخاصة ، إذ لم يكن لهم عبيد يعملون في خدمتهم[٥] ، فكانوا يشاركون في الأعمال العامة التي يشارك في أدائها جميع المسلمين مثل : بناء المساجد وبيوت أزواج رسول الله ﷺ ، وحفر الخندق[٦] ، بالإضافة إلى الأعمال الأخرى التي كان رسول الله ﷺ يكلفهم بها مثل تعليم القرآن الكريم[٧] والإفتاء[٨]

---

(١) كان النبي ﷺ يحض أصحابه على الإنفاق، وروي عنه أنه قال: (لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرني أن لا تمر علي ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيئاً أرصده لدين)، البخاري. **الصحيح**: (١١٨/٨)، وقد اعتبر ادخار المال وعدم إنفاقه معصية يعذب فاعلها. ابن حنبل. **المسند**: (١٠١/١).

(٢) كان رسول الله ﷺ ينهى أصحابه عن السؤال وشدد عليهم في ذلك .

(٣) البخاري . **الصحيح** : (١٤٩/٣) ، مسلم . **الصحيح** : (٩٦/٣) .

(٤) ابن الجوزي . **الصفة** : (٣٢٠/١) .

(٥) البخاري . **الصحيح** : (٤٧/٣) ، (١٣٧/٥) .

(٦) مسلم . **الصحيح** : (٦٥/٢) .

(٧) ابن حنبل . **المسند** : (٣١٤/٥) .

(٨) الخزاعي . **الدلالات**: (٨٢) .

والآذان[1] والتناوب في رعي إبل وأغنام الصدقة والركاب المربوطة في سبيل الله[2] وحراسة النبي وكتابة الوحي والمكاتبات الأخرى مثل كتابة العهود والمعاملات.

وكان رسول الله ﷺ قدوة لأصحابه ، فكان يشاركهم في جميع الأعمال العامة التي يقومون بها ، ويروى أنه كان يقوم بنفسه بوسم إبل وأغنام الصدقة[3] كما كان يخرج إلى السوق ليقضي بعض حوائجه بنفسه[4]، كما يروى أنه في بيته يكون في خدمة أهله يخصف النعل ويرقع الثياب[5] .

وهكذا نجد أن المهاجرين من أصحاب النبي ﷺ لم يحترفوا في المدينة أي عمل يتكسبون منه سوى التجارة ، أما الذين لم يعملوا بالتجارة ، فقد تفرغوا كلياً للجهاد وطلب العلم ومعاونة النبي ﷺ في رعاية شؤون المسلمين ، وكانوا عند الحاجة يقومون بأعمال يتكسبون منها ولم نجد منهم من انصرف تماماً إلى أي مهنة من المهن المعروفة في ذلك الوقت .

لقد تبين لنا من خلال العرض السابق لأحوال المهاجرين ومعيشتهم على عهد رسول الله ﷺ ، حيث اتضح لنا أنهم لم يشغلوا أنفسهم بأي من أمور الدنيا أو مكاسبها ، بل نذروا أنفسهم لنصرة الدين ، فكانوا بذلك نواة لجيش مسلم مرابط في سبيل الله ، ينفر أفراده خفافاً لتلبية النداء في أي وقت ، لا يشغلهم عن ذلك

---

(١) ابن هشام . **السيرة** : (٨/١) .

(٢) البخاري . **الصحيح** : (٢٠٢/٨) .

(٣) **البخاري . الصحيح** : (١٦٠/٣) ، مسلم . **الصحيح** : (١٦٤/٦) .

= الوسم : أي وضع العلامة عليها بالكي ، انظر الزبيدي . **تاج العروس** : (٩٢/٩).

(٤) البخاري . **الصحيح** : (٨٦/٣) .

(٥) عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان . **أخلاق النبي ﷺ وآدابه**: (٥٧) ٠- ط٠١- بيروت : دار الكتاب العربي ، ابن الجوزي. **الصفه** : (٢٠٠/١) .

مال ولا أهل ولا ولد ، يكتفون في معاشهم بما يحصلون عليه من غنائم ، فينفقون منها على أنفسهم وفي سبيل الله وكان النبي ﷺ حريصاً على إطعامهم وتدبير معاشهم عندما ينفد ما يحصلون عليه من غنائم.

وتبين لنا أن الزراعة هي النشاط الرئيس لسكان المدينة من عرب ويهود حينما قدم المهاجرون إليها ، ولم يشارك المهاجرون في العمل بها كي يتفرغوا للجهاد في سبيل الله ، وقد زاول بعض السكان بالمدينة التجارة ، وقد سمح الرسول ﷺ لأصحابه من المهاجرين بمزاولة التجارة لخبرتهم السابقة - حيث كان لديهم القدرة على الجمع بين الجهاد في سبيل الله والاشتغال بها ، حيث إن بعضهم حقق ثروة عظيمة من التجارة - كما يوجد بالمدينة بعض الحرف والمهن التي عمل بها السكان مثل الصناعات والحرف ، ولعل السبب الذي جعل المهاجرين يبتعدون عن مزاولة تلك المهن هو السبب نفسه الذي أبعدهم عن العمل بالزراعة ، فالمهاجرون كانوا يتجنبون الارتباط بأي عمل من الأعمال التي تؤدي إلى الاستقرار ، مما قد يشغلهم عن القيام بتحقيق الهدف الذي هاجروا من أجله .

وهكذا نستخلص مما سبق أن المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ لم يحترفوا في المدينة أي عمل يتكسبون منه سوى التجارة .

وبالرغم من عدم ارتباط المهاجرين بعمل دائم بقصد التكسب ، فإنهم كانوا مع ذلك لا يفرغون ، فإما في جهاد وغزو ، أو يقومون بمساعدة النبي ﷺ فيما يكلفهم به من أعمال ، هذا بالإضافة إلى قيامهم بخدمة الرسول ﷺ والسهر على مصالح الأمة ، وكانوا مع ذلك مشتغلين بحفظ الحديث وضبطه أو قراءة القرآن الكريم وحفظه في صدورهم .

المصادر

١ - القرآن الكريم .

٢ - ابن الأثير، علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ). **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ، ٧ مجلدات .

٣ - ــــــــ. **الكامل في التاريخ** ، ٩ مجلدات ·- بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

٤ - البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ) . **صحيح البخاري** ، ٩ أجزاء في ثلاثة مجلدات ·- بيروت : دار إحياء التراث العربي .

٥ - ــــــــ. **التاريخ الصغير** ، جزءان في مجلدين ؛ تحقيق محمود إبراهيم زايد·- ط١ ·- بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٦هـ .

٦ - البغدادي ، عبدالقادر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩هـ) . **الفرق بين الفرق** ؛ تحقيق محمد بن محيى الدين عبدالحميد ·- مصر : مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ، ميدان الأزهر .

٧ - البكري ، عبدالله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧هـ) . **معجم ما استعجم من أسماء البلاد ومواضعها** ، ٤ أجزاء؛ تحقيق مصطفى السقا ·- ط٣ ·- بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ .

٨ - البلاذري ، أحمد يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) . **أنساب الأشراف** ، الأجزاء: الأول والرابع والخامس ؛ تحقيق محمد حميد الله ·- مصر : دار المعارف ، ١٩٥٩م

٩ - ــــــــ. **فتوح البلدان** ؛ تحقيق رضوان محمد رضوان ·- بيروت: دار مكتبة الهلال ، ١٣٩٨هـ .

١٠- ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، ١٦ جزءاً : تحقيق جمال الدين الشيال الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

١١- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (ت ٨٢٧هـ) . **مجموعة الرسائل والمسائل** ، ٥ أجزاء ٠- ط١٠- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

١٢- ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت ٥٩٧هـ) . **صفة الصفوة** ، ٤ مجلدات ؛ تحقيق محمد رواس قلعجي ٠- ط٣ ٠- بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

١٣- ــــــــ . **تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير** ٠- مصر : مكتبة الآداب ، ١٩٧٥م .

١٤- الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ) . **الصحاح** ، ٦ مجلدات ؛ تحقيق عبدالغفور عطار ٠- ط٣، دار العلم للملايين ، ١٤٠٤هـ .

١٥- ابن حبيب ، محمد بن حبيب بن أمية (ت ٢٤٥هـ) . **المنمق في أخبار قريش** ؛ صححه وعلق عليه خورشيد أحمد فاروق ٠- ط١ ، عالم الكتب ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

١٦- ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ) . **الإصابة في تمييز الصحابة** ، ٤ مجلدات ٠- ط١ ، الكتبخانه الخديوية المصرية ، ١٣٢٨هـ .

١٧- ــــــــ . **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، ٤١ مجلداً المكتبة السلفية .

١٨- ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) . **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ٥ أجزاء ٠- مصر : مكتبة الخانجي .

١٩- ــــــــ . **جمهرة أنساب العرب** : تحقيق عبدالسلام هارون ٠- ط٤ ٠- مصر : دار المعارف . ١٩٧٧م.

٢٠- ابن حنبل ، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) . **المسند** ، ٦ مجلدات ٠- دار الفكر العربي.

٢١- ابن حيان : محمد بن حيان بن أحمد (ت ٣٥٤هـ) . **مشاهير علماء الأمصار** ٠- بيروت : دار الكتب العلمية .

٢٢- الخزاعي ، علي بن محمد الخزاعي (ت٧٨٩هـ) . **تخريج الدلالات السمعية**٠- القاهرة : لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م

٢٣- الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٦٨١هـ) . **تاريخ بغداد** ، ١٤ مجلداً ٠- بيروت : دار الكتاب العربي.

٢٤- ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ) . **وفيات الأعيان** ؛ تحقيق إحسان عباس ٠- بيروت : دار صادر .

٢٥- ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) . **العبر وديوان المبتدأ والخبر** ، ٧ مجلدات ٠- بيروت : مؤسسة جمال للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م؛ ط٢ ٠- الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٦- خليفة بن خياط ، خليفة بن خياط بن أبي هبيرة (ت ٢٤٠هـ) . **تاريخ خليفة بن خياط** ؛ تحقيق أكرم ضياء العمري .

٢٧- السخاوي ، محمد بن عبدالرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) . **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة** ، ٣ مجلدات ؛ عني بطبعه ونشره أسعد طرابزوني ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٨- الخوارزمي ، محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ) . **مفاتيح العلوم** ؛ تحقيق إبراهيم الأبياري ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

٢٩- ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ) . **الطبقات الكبرى** ، ٩ مجلدات ٠- بيروت: دار صادر .

٣٠- السمهودي ، علي بن عبدالله بن أحمد (ت ٩١١هـ) . **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى** ، ٤ أجزاء في مجلدين ؛ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ٠- بيروت : دار إحياء التراث الإسلامي .

٣١- ابن شبه ، عمر بن شبه النميري البصري (ت ٢٦٢هـ) . **تاريخ المدينة المنورة** ، ٤ أجزاء في أربعة مجلدات ؛ تحقيق فهيم محمد شلتوت .

٣٢- الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) . **تاريخ الرسل والملوك** ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٠- ط٢ ٠- مصر : دار المعارف ، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

٣٣- ابن عبدالبر ، يوسف بن عبدالله بن محمد (ت ٤٦٣هـ) . **الاستيعاب في أسماء الأصحاب**، ٤ مجلدات٠- ط١، طبع الكتبخانه الخديوية المصرية ، ١٣٢٨هـ .

٣٤- ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) . **العقد الفريد** ٠- ط٣ ٠- بيروت : دار الكتاب العربي، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

٣٥- ابن عساكر ، علي بن حسين بن هبة الله (ت ٥٧١هـ) . **تهذيب تاريخ دمشق الكبير** ٠- ط٢ ٠- بيروت : دار المسيره، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

٣٦- الفيروز أبادي ، محمد بن يعقوب (ت ٨٢٣هـ) . **المغانم المطابة في معالم طابة**؛ تحقيق حمد الجاسر٠- ط١ ٠- الرياض : دار اليمامة ، ١٣٨٩هـ .

٣٧- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ) . **كتاب المغازي** ، ٣ مجلدات ٠- بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .

٣٨- ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) . **المعارف** : تحقيق محمد إسماعيل الصاوي ·- ط٢ ·- بيروت : دار إحياء التراث العربي . ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

٣٩- القرشي ، يحيى بن آدم (ت ٢٠٣هـ) . **كتاب الخراج** ؛ تحقيق أحمد محمد شاكر·- بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر .

٤٠- مسلم ، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (٢٦١هـ) . **الجامع الصحيح** ، ثمانية أجزاء في أربعة مجلدات ·- بيروت : دار الفكر .

٤١- المسعودي ، علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ) . **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، أربعة أجزاء في مجلدين ؛ تحقيق يوسف داغر ·- ط٣ ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧٨م .

٤٢- المطري : محمد بن أحمد المطري (ت ٧٤١هـ) . **التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة** ؛ تحقيق محمد عبدالمحسن الخيال الناشر: أسعد طرابزوني الحسيني .

٤٣- ابن منظور : محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ) . **لسان العرب** ، خمسة عشر مجلداً ·- بيروت : دار صادر ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

٤٤- ابن النجار ، محمد بن محمود بن النجار (ت ٦٤٣هـ) . **أخبار مدينة الرسول المعروف بالدرة الثمينة** ؛ حققه وعلق عليه ونشره صالح محمد جمال ·- ط٣·- مكة المكرمة : مكتبة الثقافة ، ١٤٠١هـ .

٤٥- ابن هشام ، عبدالله بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨هـ) . **السيرة النبوية**، مجلدان ؛ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري ·- ط٢ ·- مصر : مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م .

٤٦- أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري (ت ١٨٢هـ) . **كتاب الخراج** ·- بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

٤٧- صفي الدين المباركفوري . **الرحيق المختوم** ·- ط٣ ·- جدة : رابطة العالم الإسلامي ، ١٤٠٦هـ ؛ جدة: دار الأصفهاني للطباعة، ١٣٩٣هـ .

٤٨- أحمد إبراهيم الشريف . **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول** ·- ط٢ ، دار الفكر العربي .

٤٩- جواد علي . **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ·- بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٦م .

٥٠- حسن إبراهيم حسن . **تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي** ·- ط٧·- القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤م .

٥١- أكرم ضياء العمري . **المجتمع المدني في عهد النبوة : خصائصه وتنظيماته** ·- ط١ ·- المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ، ١٤٠٣هـ .